بلاغة النهي في لحديث النبوي مقاربة تداولية في بناء المعنى والتوجيه – قراءة في رياض الصالحين

The Rhetoric of Prohibition in Prophetic Hadith: A Pragmatic Approach to Meaning Construction and Guidance — A Reading in Riyad al-Salihin

ناغش عيدة *

جامعة مولود معمري تيزي وزو

(الجزائر)

aida.nagheche@ummto.dz

تاريخ الاستلام:2026-04-04 تاريخ القبول:2026-06-04 تاريخ النشر:2026-06-09

ملخص:

تتناول هذه الدراسة بلاغة النهي في الحديث النبوي من خلال مقاربة تداولية تهدف إلى الكشف عن آليات بناء المعنى ووظائف التوجيه داخل الخطاب النبوي، وتنطلق الدراسة من فرضية مفادها أن النهي في الحديث النبوي لا يقتصر على دلالة المنع المباشرة، بل يتجاوزها إلى أبعاد دلالية وأخلاقية وتوجيهية تتحدد وفق السياق التداولي.

وتعتمد الدراسة على تحليل نماذج مختارة من أحاديث رياض الصالحين، قصد إبراز كيفية اشتغال أسلوب النهي في توجيه السلوك الفردي والجماعي وبناء القيم. وتخلص الدراسة إلى أن النهي يمثل أداة خطابية فاعلة في تشكيل المعنى وتوجيه المتلقي ضمن أفق تربوي وأخلاقي متكامل.

الكلمات المفتاحية: النهي، البلاغة، التداولية، الحديث النبوي، السياق.

Abstract :

This study examines the rhetoric of prohibition in Prophetic Hadith through a pragmatic approach aimed at revealing the mechanisms of meaning construction and functions of guidance within the Prophetic discourse. It is based on the assumption that prohibition in Prophetic Hadith goes beyond its direct negative imperative meaning to include broader ethical, semantic, and directive dimensions shaped by context. The study analyzes selected examples from Riyad al-Salihin to highlight how prohibition operates in guiding individual and collective behavior and in constructing values. The findings show that prohibition functions as an effective rhetorical device for shaping meaning and directing the audience within an integrated ethical and educational framework

Keywords :Rhetoric , sementic,pragmatic, prohibition, Guidance,

*المؤلف المرسل: **ناغش عيدة**

- **المقدمة:**

يُعَدُّ أسلوب النهي من أبرز الأساليب الإنشائية في الخطاب العربي، لما ينطوي عليه من طاقة دلالية وتداولية تتجاوز حدود البنية اللغوية إلى آفاق أوسع من التأثير والتوجيه، ويتجلّى هذا الأسلوب بوضوح في الحديث النبوي الشريف، حيث لا يقتصر النهي على وظيفة المنع أو الزجر، بل يُسْهِم في بناء المعنى وتوجيه المتلقي وفق مقاصد خطابية دقيقة تراعي السياق والمقام.

وتكتسب دراسة النهي في الحديث النبوي أهميتها من كونه خطابا تواصليا موجّهًا إلى جماعة المتلقين في سياقات متنوعة، ممّا يجعله مجال خصبا لاستكشاف تفاعل البنية البلاغية مع الأبعاد التداولية، فالدلالة في هذا المستوى لا تُستمدّ من الصيغة النحوية وحدها، بل من علاقتها بالسياق، والقرائن المصاحبة، وطبيعة العلاقة بين المتكلم والمتلقي.

وانطلاقا من ذلك، يطرح البحث الإشكالية الآتية: كيف يُسْهِم أسلوب النهي في الحديث النبوي في بناء المعنى وتوجيه المتلقي في ضوء مقاربة بلاغية تداولية؟ ويتفرّع عن هذه الإشكالية تساؤلات فرعية تتصل بطبيعة الدلالات التي ينتجها النهي، والآليات البلاغية التي تُعَزّز أثره، والوظائف التداولية لتي يؤدّيها داخل السياق.

وللإجابة عن هذه الإشكالية، يعتمد البحث منهجا يقوم على المقاربة البلاغية التداولية، من خلال تحليل نماذج مختارة من الأحاديث النبوية، قصد الكشف عن كيفية اشتغال النهي داخل الخطاب، ورصد تفاعل صيغِهِ مع السياقات المختلفة، واستجلاء ما تنتجه من دلالات ووظائف تتجوز حدود المنع إلى التأثير والتوجيه.

ويسعى البحث من خلال ذلك إلى إبراز خصوصية الخطاب النبوي في توظيف أسلوب النهي، بوصفه أداة فاعلة في بناء المعنى وتشكيل السلوك، وانطلاقا من هذا التصور، يقتضي البحث أولا الوقوف على الإطار النظري لمفهوم النهي في التراث اللغوي، والبلاغي، مع بيان صيغِهِ ودلالاتِهِ، تمهيدا للانتقال إلى تحليل تجلياته في الحديث النبوي في ضوء المقاربة البلاغية التداولية.

المحور لأول: الإطار النظري:

- **مفهوم النهي: النهي لغة:** ضد الأمر، تقول: نهيته عن الشيء، أنهاه نهيا، فانتهى عنه، وتناهى، أي كف، ومنه تناهوا عن المنكر أي نهى بعضهم بعضا[1]، وقال الكفوي في كلياته: النهي الزجر بالفعل، أو بالقول.[2]

- **النهي اصطلاحا:** يُعَدّ النهي أحد الأساليب الانشائية الطلبية في العربية، ويُقصد به طلب الكفّ عن الفعل على وجه الاستعلاء، والإلزام، ويتحقّق في صورته الأصلية من خلال صيغة (لا + الفعل+ المضارع) نحو لا تفعل، وصيغته (لا تفعل) هي الصيغة الحقيقية وزاد الفقهاء، فقالوا: وهي صيغة التحريم، فالنهي في اصطلاح البلاغيين: "عبارة عن قول ينبئ عن المنع من الفعل على جهة الاستعلاء[3] ، وصيغته: المضارع المقرون "بلا الناهية"[4].

وقيّد الجرجاني النهي في تعريفه بقيدين: أحدهما: اشتراط الاستعلاء، والآخر صيغة النهي، وذلك بقوله: " النهي هو قول القائل لمن دونه: لا تفعل"[5]، كما عرّفه عبد السلام هارون بقوله: " هو طلب الكف عن الفعل والامتناع

عنه على وجه الاستعلاء والإلزام، وله صيغة واحدة هي المضارع المقترن ب (لا) الناهية "[6]، كما أكد على شرط الاستعلاء الكثير من علماء اللغة مثل السكّاكي الذي يرى أيضا أنّ أصل استعمال (لا تفعل) يكون على سبيل الاستعلاء[7]، غير أن النهي في الاستعمال الخطابي، ولا سيما في الحديث النبوي، لا يظل حبيس دلالة المنع، بل ينفتح على وظائف متعدّدة تتجاوز البنية اللغوية ودلالة المنع إلى وظائف دلالية وتداولية، متعدّدة، تتشكّل في ضوء السياق والمقام، حيث يصبح أداة توجيه وتأثير وبناء للمعنى.

1- **النهي في التراث اللغوي**: تناول النحاة والبلاغيون والأصوليون النهي كلّ من زاويته:

أ- **عند النحاة**: عُنِيَ به من حيث صيغته وبنيته، فعدّوه مقابلا للأمر، وأساسه (لا الناهية + المضارع المجزوم)

ب- **عند البلاغيين**: نظر إليه البلاغيون واهتموا به مثل الجرجاني، والسكّاكي، وبيّنوا خروجه عن معناه الأصلي، فرصدوا دلالاته المجازية مثل: الدعاء، الالتماس، التهديد، الإرشاد ... وذلك تبعا للقرائن والسياق.

ت- **عند الأصوليين**: ركزوا على دلالته الحكمية فاعتبروا أن الأصل فيه التحريم ما لم تصرفه قرينة إلى معنى آخر، كالكراهة أو الإرشاد.

2- **صيغ النهي**: الصيغة الأصلية للنهي هي الصيغة الصريحة (لا + المضارع المجزوم) مثل قوله تعالى: ﴿وَلاَ تَقْرَبُوا مَالَ اليَتِيمِ إِلَّا بِالّتِي هِيَ أَحْسَن﴾ [الأنعام 152]، ولا يقتصر النهي على الصيغة السابق ذكرها بل يتخذ أشكالا متعدّدة غير مباشرة:

- أسماء الأفعال مثل (مه) فإنّ معناه (لا تفعل)، و(صه) فإنّ معناه لا تتكلّم.

- صيغة التحريم مثل قوله تعالى: ﴿حُرّمَت عَلَيْكُم المَيتَةُ﴾ [المائدة 3]

- الأفعال التي بصيغة الأمر، ومعناها النهي: مثل ذر، ودع، واجتنب، واترك، ونحوها[8]، مثل قوله I: ﴿وَذَرُوا ظَاهِرِ الإِثْمِ وَبَاطِنِهِ﴾ [الأنعام 121].

- نظائر صيغة (لا تفعل)، وهي كل ما له دلالة على طلب الكفّ عن فعل الشيء كلفظ النهي صراحة كقوله تعالى: ﴿وينهى عن الفحشاء والمنكر﴾ [النحل الآية 90]

- النفي: المتضمن معنى النهي، كقوله I: ﴿فَلاَ رَفَث ولَا فُسُوقَ ولَا جِدَالَ في الحَجّ﴾ [البقرة 197].

- التحذير: مثل قوله ρ: «إياكم والجلوس على الطرقات»[9].

- الخبر ذو المعنى الطلبي الذي يُراد به النهي: كقوله تعالى: ﴿وَمَا تُنْفِقُونَ إِلَا ابْتِغَاء وَجْه الله﴾ [البقرة الآية 272] أي لا تنفقوا.

- ذم الفعل، أو فاعله، كقوله I: ﴿بَلْ أَنْتُم قَوْمٌ مُسْرِفُون﴾ [الأعراف 81]، وقوله I: ﴿إِنّهُ لَا يُحِبُّ المُسْرِفِين﴾ [الأنعام 31] وغيرها من الآيات الدالة على طلب ترك الفعل[10].

3- الدلالات الأصلية والفرعية لصيغة النهي: الأصل في النهي هو المنع والتحريم، لكن هذه الدلالة ليست ثابتة دائما، بل تتشكّل وفق السياق والقرائن، والأحوال التي ترافق صيغة النهي، فتخرجها عن دلالتها الحقيقية إلى أغراض أخرى، ويتحكم في هذا الخروج عن الدلالة عنصرين مهمين هما:

- السياق الذي قيل فيه النهي، وذلك بمراعاة حال المتلقي، والمتكلّم أثناء الكلام، وأيضا طبيعة العلاقة بينهما.

- القرائن الحالية: وهي مجموعة الدلالات التي تفهم من السياق.

ولذلك يمكن التمييز بين:

- **الدلالة الأصلية أو الوضعية**: الكف والمنع، و**الدلالة السياقية**: وهي ما يحدّدها المقام: كالإرشاد والتأديب والتنزيه . .... فالنهي عند جمهور العلماء للتحريم، ولزوم الانتهاء عن مباشرة المنهي عنه، فالنهي للكراهة، أو الدعاء، أو الإرشاد، أو التحقير، أو غيرها، ويُعرف هذا بالقرائن الدالة على تلك المعاني، فمثلا في قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغ قلوبَنَا بَعْد إذ هديتنا﴾ [آل عمران الآية 8]، الغرض من النهي هنا هو الدعاء، وقوله: ﴿ لا تَعْتَذِرُوا اليَوْم إنَّمَا تُجْزَونِ مَا كُنْتُم تَعْمَلُون﴾ [التحريم جزء من الآية 7] دلالة النهي هنا اليأس، وقوله تعالى: ﴿وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا ﴾ [الحشر الآية7] أمر سبحانه وتعالى بالانتهاء عن المنهي عنه، فيكون الانتهاء بهذا واجبا، وترك الواجب حرام.

4- تعريف التداولية: التداولية علم يهتم بعلاقة اللغة بمستعمليها، هدفه إرساء مبادئ للحوار، في علاقته الوثيقة مع المقام الذي ينتج فيه الكلام، ومن هذه التحديدات يعنّ لنا أن التداولية تخصص لساني يحدد موضوعه في المجال الاستعمالي، أو الإنجازي لما نتكلم به؛ ويدرس كيفية استعمال المتكلمين للأدلة اللغوية أثناء حواراتهم، وفي صب أحاديثهم، وفي خضم خطاباتهم، كما يعتني هذا التخصص بكيفية تأويل مستعملي اللغة لتلك الخطابات وتلك الأحاديث، كما ويهتم أيضا بمنشئ الكلام) الخطيب، المتكلم)، وكذا السياق.

ويقدم الدكتور "مسعود صحراوي" تعريفا واضحا للتداولية في كتابه القيم "التداولية عند العلماء العرب التداولي بقوله: " وهو مذهب لساني يدرس علاقة النشاط اللغوي بمستعمليه، وطرق وكيفيات استخدام العلامات اللغوية بنجاح، والسياقات والطبقات المقامية المختلفة التي ينجز ضمنها "الخطاب"، والبحث عن العوامل التي تجعل من "الخطاب " رسالة تواصلية "واضحة" و"ناجحة".[11]

5- المقاربة التداولية: تركز المقاربة التداولية على عنصر المقصدية والوظيفة في النصوص والخطابات، وبهذا، تكون التداوليات قد تجاوزت سؤال البنية، وسؤال الدلالة، لتهتم بسؤال الوظيفة والدور والرسالة والسياق الوظيفي، كما تُعْنى المقاربة التداولية بفهم العلاقات الموجودة بين المتكلم والمتلقي ضمن سياق معين؛ لأن البعد التداولي ينبني على سلطة المعرفة والاعتقاد، وتسمى هذه المقاربة كذلك بالمقاربة التواصلية، أو المقاربة الوظيفية، أو المقاربة الذرائعية، أو المقاربة المنطقية.

6- **النهي في ضوء التداولية (الأفعال الكلامية)**: يمكننا تجاوز الفهم البنيوي للنهي إلى فهمه كفعل كلامي، وقد طوّر هذا المفهوم–الفعل الكلامي– كل من جون أوستن، جون سيرل، حيث ميّزا بين[12]:

- **الفعل القولي**: أي فعل إنتاج الأصوات وتركيب الكلمات في بناء يلتزم بقواعد اللغة، ويشمل دلالة معينة.

- **الفعل الإنجازي**: (ما يُنجز بالقول) أي الفعل الذي ننجزه أثناء القول، ويراد به مقصد المتكلم.

- **الفعل التأثيري**: أي الأثر غير المباشر الذي نحقّقه بالفعل، وذلك عندما يُحْدِث الكلام أثرا كالإقناع والاستمالة.

بناء على ذلك يمكن اعتبار النهي:

- **فعلا إنجازيا**: يهدف إلى منع الفعل أو توجيه السلوك.

- **فعلا تأثيريًا**: يُحْدِث أثرا نفسيا وسلوكيا في المتلقي.

7- **وظائف النهي التداولية**: تتعدّد وظائف لنهي بحسب المقام، ومن أبرز هذه الوظائف:

- **التحريم**: إذا اقترن بقرينة إلزام، و**الإرشاد**: توجيه إلى ما فيه مصلحة، والتأديب: **تهديب السلوك**، و**التحذير**: التنبيه إلى خطر، و**الكراهة والتنزيه**: لا يصل إلى حد التحريم، و**الدعاء أو الالتماس**: إذا تغيرت علاقة المتكلم بالمخاطب.

انطلاقا من التصور النظري الذي ينظر إلى النهي بوصفه بنية لغوية ذات أبعاد بلاغية ووظائف تداولية، يتجّه هذا البحث إلى استثمار هذه المعطيات في تحليل نماذج مختارة من الحديث النبوي، بغية الكشف عن الكيفية التي تُسْهم بها صغ النهي في بناء المعنى وتوجيه المتلقي.

ولا يقف التحليل عند حدود استجلاء الدلالة الوضعية للنهي باعتباره طلبا للكفّ، بل يتجاوز ذلك إلى استنطاق أبعاده السياقية والتداولية، من خلال رصد القرائن المقامية، واستحضار علاقة المتكلم بالمتلقي، وتحديد المقاصد الخطابية التي يُنجزها النهي داخل السياق.

- **المحور الثاني: تجليات النهي في الحديث النبوي: تحليل شواهد تطبيقية**:

يُمثّل هذا المحور الجانب التطبيقي من الدراسة، حيث يتم استثمار المعطيات البلاغية، والتداولية في تحليل نماذج مختارة من الحديث النبوي، للكشف عن كيفية اشتغال النهي في بناء المعنى، وتوجيه المتلقي، ويعتمد التحليل على رصد تفاعل صيغة النهي مع السياق، واستجلاء ما تنتجه من دلالات ووظائف تتجاوز حدود المنع إلى التأثير والتوجيه.

1– النهي ذو البعد العقدي والتشريعي (القوة الإلزامية): يتجلّى النهي في الخطاب النبوي في بعده العقدي والتشريعي، بوصفه أداة لضبط الأسس الكبرى التي يقوم عليها بناء الجماعة المسلمة، حيث يرتبط بتوجيه الاعتقاد وصيانة النظام العام، ويتميّز هذا النمط من النهي بطابع إلزامي واضح، تجعله قريبا من الدلالة التحريمية، غير أنّه لا يقتصر على تقرير الحكم، بل يُسهِم في استباق الانحرافات المحتملة من خلال خطاب يجمع بين التحذير والتأثير.

ومن شواهد ذلك في الحديث النبوي الحديث الذي رواه ابن عمر τ قال: قال رسول الله ρ: – من خطبة حجة الوداع: « لا ترجعوا بعدي كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض»[13].

يَرِد النهي في هذا الحديث بصيغة صريحة متمثلة في (لا + المضارع المجزوم)، بما يفيد طلب الكفّ عن الرجوع إلى حال مذمومة، غير أنّ البنية لا تقف عند حدود النهي المباشر، بل تتعزّز بجملة حالية: «يضرب بعضكم رقاب بعض» التي تنقل الخطاب من مستوى التجريد إلى مستوى التصوير، كما أنّ اختيار الفعل (ترجعوا) يوحي بحركة ارتدادية، تحمل في طياتها معنى الانحراف عن حالة سابقة من الاستقامة، وهو ما يضفي على النهي بُعْدا تحذيريا ضمنيًا، أما الجملة الحالية، فتقوم على تصوير حسّي عنيف، يتمثّل في مشهد الاقتتال (يضرب بعضكم رقاب بعض) وهو تصوير يتجاوز الإخبار إلى الإيحاء، إذ يستحضر نتيجة النهي في صورة محسوسة، تثير في المتلقي شعور الخطر، ولا يمكن حمل النهي هنا على مجرّد طلب الكفّ، بل ينبغي فهمه في ضوء السياق التداولي الذي يتأسّس على: سلطة المتكلم، وهو النبي ρ، بوصفه مُوَجّها ومُشَرّعا، والمتلقي وهم جماعة المسلمين، والمقام، وهو مقام تحذير من الانقسام والاقتتال.

وفي هذا الإطار يتحوّل النهي إلى فعل كلامي إنجازي لا يهدف فقط إلى المنع، بل إلى: حماية الجماعة، وصيانة وحدتها، واستباق الفتنة، فالنهي يؤدّي وظيفة تداولية حاسمة، إذ تعمل كـ حجة ضمنية تبرّر النهي، دون التصريح بأداة تعليل، مما يندرج ضمن ما يمكن تسميته بـ (الاقتصاد الحجاجي).

كما أن النهي في هذا الحديث ينتقل من دلالته الأصلية (المنع) إلى بناء معنى مركّب يقوم على: التحذير من الارتداد السلوكي لا العقدي فقط، مع التنبيه إلى مآلات الفعل (الاقتتال)، مع ربط السلوك الفردي بمصير الجماعة، وبذلك يُعاد تشكيل المعنى في أفق أوسع يجعل من النهي أداة لإنتاج وعي جماعي، فيتجاوز بذلك النهي في هذا الحديث دلالة المنع إلى وظيفة تداولية مركبة، تتداخل فيها الآليات البلاغية مع المقاصد الخطابية، بما يُسهم في بناء معنى تحذيري مُوَجّه، من النهي أداة فعالة في توجيه المتلقي وصياغة وعيه.

وعن أبي هريرة τ أن رسول الله ρ قال: « عن ابن عمر τ قال: قال رسول الله ρ: «إن الله ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم، فمن كان حالفا، فليحلف بالله، أو ليصمت»[14]

يتسم هذا الحديث ببنية مركّبة تبدأ بجملة خبرية ''إنّ الله ينهاكم'' وهي صيغة تفيد التوكيد، وتضفي على النهي سلطة عليا ممّا يُعـزّز قوته الإلزامية، ثم يتحوّل الخطاب إلى صيغة شرطية ''فمن كان حالفا ... '' متبوعة بأمرين متقابلين ''فليحلف بالله أو ليصمت'' وهو تقابل بلاغي يقوم على حصر الخيارات وتحديدها بدقّة، ويؤدّي هذا البناء إلى الانتقال من النهي المجرّد إلى توجيه سلوكي بديل.

ولا يقتصر النهي هنا على منع سلوك (الحلف بغير الله)، بل يتجاوزه إلى إعادة تنظيم الممارسة اللغوية والاجتماعية عبر تقديم بديلين محدّدين، وهذا ما يجعله فعلاً تداوليًا ذا بعدٍ إنجازي واضح، حيث لا يكتفي بالزجر بل يُوَجّه السلوك نحو نمط مشروع، كما أنّ إسناد النهي إلى الله I يمنحه سلطة حجاجية عليا، تعزّز الامتثال، ومن ثمَّ، يتحوّل الخطاب إلى آلية لإعادة ضبط العادات اللغوية وفق منظومة قيمية جديدة.

إذا فالنهي في الحديثين السابق تحليلهما يقترب من التحريم القطعي فهو يحمل قوة إنجازية عالية (إلزام وردع)، فهو غالبا مدعوم بسياق تحذيري وتصويري، مع حضور واضح لسلطة المتكلم.

2- النهي التوجيهي الأخلاقي (تهذيب السلوك): يتخذ النهي في هذا المستوى وظيفة تقويمية تستهدف تهذيب العلاقات الإنسانية داخل المجتمع، من خلال توجيه السلوك، وضبط الانفعالات التي قد تُفضي إلى التفكك الاجتماعي، ولا يُفهم هذا النمط من النهي بوصفه منعًا مجرّدا، بل باعتباره آلية لبناء منظومة قيمية قائمة على التعاون والتماسك، ونبذ السلوكيات السلبية.

ومن أمثلة ذلك الحديث الذي رواه أبو المنذر أبي بن كعب τ: قال: قال رسول الله ε: « لا تسبّوا الريح، فإذا رأيتم ما تكرهون، فَقُولُوا: اللهمَ إنَا نَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِ هذه الريح وخير ما فيها، وخير ما أمرت بِهِ، ونعوذ بك من شرّ هذه الريح وشرّ ما فيها، وشرّ ما أُمِــرَتْ بِـهِ »[15]،

الدلالة هنا نهي عقدي سلوكي؛ لأن سبّ الريح سبّ لمقدور الله I، فالمقام مقام نهي تحريمي، فهو نهي مختصر لكنّه يحمل نظاما فكريا كاملا خلفه، ليتحقّق مقصدا يتمثّل في ردّ الفعل إلى الحكمة الإلهية بدل الانفعال الغاضب، كما يقوم هذا الحديث على بنية مزدوجة تجمع بين النهي والتوجيه البديل، حيث يَرِد النهي في صيغة صريحة (لا تسبوا الريح) ثم يتبعه توجيه دعائي مفصّل، ويُلاحظ أنّ الانتقال من النهي الموجز إلى الدعاء المفصّل يُنْتِجُ توازنًا بلاغيا بين الاختزال والتوسّع، كما أن تكرار لفظ (خير) و(شر) في الدعاء يخلق تقابلا دلاليا يُعمّق المعنى، ويُؤطِّر موقف المتلقي من الظاهرة.

ولا يُفْهَم النهي هنا بوصفه إعادة توجيه للخطاب الانفعالي عند مواجهة الظواهر الطبيعية، فالرسول ρ لا يكتفي بالزجر، بل يُقَدّم بديلا تواصليا (الدعاء)، ممّا يحوّل النهي إلى آلية تربوية تضبط اللغة والسلوك معًا.

وعن أبي هريرة τ قال: قال رسول الله ρ: « يا نساء المسلمات، لا تحقرنّ جارة لجارتها ولو فرسن شاة»[16] يُفتتح الخِطاب بنداء ''يا نساء المسلمات'' وهو نداء تخصيص يُوَجّه الخطاب إلى فئة معيّنة، ممّا يُعزّز الانتباه ويكثّف التلقي، ويأتي النهي ''لا تُحقّرن'' مؤكّدا بنون التوكيد الثقيلة، وهو ما يضفي عليه قوة إلزامية واضحة، كما أن لفظ ''تُحقّرن'' يرتبط بدلالة معنوية دقيقة ''الاحتقار''، ممّا ينقل النهي من مستوى الفعل الظاهر إلى مستوى الشعور والتقييم، ويُلاحظ أيضا حضور البنية العلائقية'' جارة لجارتها'' التي تبرز طبيعة العلاقة الاجتماعية المستهدفة.

ينتمي هذ النهي إلى مجال تنظيم العلاقات الاجتماعية الدقيقة، حيث لا يستهدف سلوكًا ماديا فقط، بل يضبط تمثّلات ذهنية ومشاعر قد تؤدّي إلى خلل في التماسك لاجتماعي، كما أن تخصيص الخطاب يراعي سياقا تداوليا معيّنا، ممّا يزيد من فعاليته، ومن ثمّ يتحوّل النهي إلى أداة لبناء قيم الاحترام المتبادل، ويؤدّي وظيفة تربوية تهدف إلى منع تشكّل السلوك السلبي في مستواه النفسي قبل ظهوره عمليا، فالنهي هنا نهي اجتماعي، موجّه للنساء لمنع الاستصغار، فالمقام مقام نهي أخلاقي، كما أنّ الخطاب بضمير المؤنّث يعطي قربا ودفئا، مع تحذير واضح، ليتحقّق بذلك مقصد مهم من خلال هذا النهي وهو بناء شبكة اجتماعية قائمة على الاحترام.

في الحديثين السابق ذكرهما يتحول النهي التوجيهي من مجرّد منع إلى بناء قيم، مع استعمال (لا ... ولا....) مما يؤدّي إلى تكثيف التأثير، فالنهي هنا آلية لضبط العلاقات الإنسانية.

3- **النهي الإرشادي (توجيه سلوكي يومي)**: يرتبط النهي الإرشادي بالسياقات اليومية التي تنظّم سلوك الأفراد داخل مواقف تواصلية محددة، حيث يتحدّد معناه في ضوء الصيغة وحدها، ويكشف هذا النمط عن مرونة الخطاب النبوي، إذ يتحوّل النهي فيه إلى توجيه عملي يراعي الظروف والملابسات، ويهدف إلى تحقيق التوازن في العلاقات والتواصل بين الأفراد.

وعن ابن عمر τ قال: قال رسول الله ρ:«لا تتركوا النار في بيوتكم حين تنامون»[17]يبرز لنا هنا أنّ النهي في هذا الحديث النبوي، نهي وقائي، لا يهدف فقط إلى السيطرة على سلوك عابر، بل إلى حماية النفس والأموال، وهما من الضرورات التي يحرص الإسلام على صيانتها، فيكتسب النهي هنا قيمة دلالية تتجاوز زمن القول، لأنّه يرسّخ مبدأ " الحذر قبل وقوع الضرر "، ويُقدّم نموذجا على أنّ البلاغة النبوية ليست زخرفا لفظيا، بل هي توجيه عملي لصناعة الوعي، كما تحوّل النهي إلى أداة تربوية تتجاوز حدود الزمان والمكان، مَمّا يعكس قدرة أسلوب النهي في البيان النبوي على الجمع بين الجانب العملي والتوجيه الأخلاقي.

يأتي النهي في هذا الحديث بصيغة مباشرة موجزة " لا تتركوا " وهي صيغة تفيد العموم لارتباطه بضمير الجمع، مما يوسّع دائرة الخطاب لتشمل جميع المخاطبين، ويتميّز التركيب بالإيجاز، إذ حُذِفَت العلة الصريحة، ممّا يفتح المجال لاستحضارها ضمنيًا، وهي ما يرتبط بخطر الاحتراق أو الضرر، كما أنّ لفظ (النار) يحمل حمولة دلالية قوية، تتجاوز معناه الحسي إلى ما يثيره من رهبة وخوف، وهو ما يُعزّز البعد التحذيري في الخطاب.

كما يتجاوز النهي هنا مُجرّد المنع إلى كونه فعلا وقائيًا يهدف إلى حفظ النفس والممتلكات، وهو ما يمنحه بعدًا مقاصديًا واضحًا، كما أن حذف التعليل يُفعّل دور المتلقي في استنتاج الخطر، ممّا يزيد من قوة التأثير، ومن ثمّ، يتحوّل النهي إلى توجيه عملي مرتبط بسياق معيشي يومي، يقوم على تدبير الخطر قبل وقوعه، وهو ما يعكس بعدًا تداوليا قائمًا على حماية الجماعة وتنظيم سلوكها.

وعن ابن عمر τ قال: قال رسول الله ρ:« إذا كانوا ثلاثة فلا يتناجى اثنان دون الثالث »[18] في هذا الحديث نجد النهي عن التناجي بين اثنين، وذلك بغرض حماية للمجتمع من الإقصاء والشك، وتعزيز العدالة بين أفراده، فنلاحظ هنا توجيها اجتماعيا؛ إذ يحث النهي في هذا المقام على الانصاف وحماية مشاعر الآخرين، ويمنع الإقصاء والتمييز داخل المجموعة، ونجده أيضا يحقّق تنظيما اجتماعيا، بحيث يعزّز التوازن في العلاقات الجماعية، ويحدّ من النزاعات الداخلية، أو شعور الإهمال، ويُحقّق بعدا عقديا، وهو بعدًا غير مباشر، يُرْبَطُ بسلوك المسلم ضمن إطار الالتزام بأخلاق الجماعة وحفظ الحقوق.

يتأسّس النهي في هذا الحديث على منطق تدولي دقيق مرتبط بسياق التواصل الاجتماعي، حيث لا يُفهَم بوصفه تحريما مُطلقا، بل توجيهًا يُراعي المقام، ويحفظ مشاعر الطرف الثالث، وقد جاء النهي مشروطًا ببنية سياقية (إذا كانوا ثلاثة) ممّا يمنحه طابعا وظيفيًا مرنا يرتبط بظروف الخطاب، ومن الناحية التداولية، يُعدّ هذا النهي فعلا

كلاميًا يهدف إلى تنظيم آداب التخاطب ومنع الإقصاء الرمزي داخل الجماعة، كما أنّ غياب التعليل الصريح يفتح المجال أمام المتلقي لاستنتاج العلّة الاجتماعية، وهو ما يُعَزّز البعد الإقناعي غير المباشر للنص.

النهي الإرشادي في هذين الحديثين ليس مجرّد تحريم بل هو حماية وتنظيم، وتحقيق سلوكيات اجتماعية كمراعاة شعور الآخرين، وتوخي السلامة والحذر، والأدب، ... كما يلعب السياق دورا حاسما في فهم المغزى من هذا النهي، فاشتغال النهي هنا يتراوح بين التحذير الوقائي، وتقويم العلاقات الاجتماعية وإعادة الممارسات اللغوية، ممّا يدلّ على أنّ النهي لا يؤدّي وظيفة واحدة، بل يتشكّل وفق السياق ليحقّق مقاصد توجيهية متعدّدة تتكامل فيها الأبعاد البلاغية والتداولية.

4- **النهي النفسي (بناء الوعي الداخلي)**: ينصرف النهي في هذا المستوى إلى معالجة البعد الداخلي للإنسان، من خلال توجيه الانفعالات، وإعادة تشكيل الوعي الذاتي، ولا يُفْهَم هذا النمط على ظاهره الحرفي، بل يؤوّل في ضوء مقاصده التربوية، حيث يسعى إلى بناء شخصية متزنة قادرة على ضبط مشاعرها، وسلوكها في مختلف المواقف.

ومن شواهد ذلك في الحديث النبوي الحديث الذي رواه أبو هريرة τ أن رجلا قال للنبي ρ : أوصني: قال: «لا تغضب»، فردّد مرارا، قال: «لا تغضب».[19]

يقول الحافظ:" لعَلَّه لما رأى أَن جَمِيع الْمَفَاسِد الَّتِي تعرض للْإِنْسَان إِنَّمَا هِيَ من شَهْوَته وغضبه، والشهوة مَكْسُورَة بِالنِّسْبَةِ إِلَى مَا يَقْتَضِيهِ الْغَضَب، فَلَمَّا سَأَلَهُ الرجل الْإِرْشَاد إِلَى مَا يتوسل بِهِ إِلَى التَّحَرُّز عَن القبائح وَعَن الْغَضَب الَّذِي هُوَ أعظم ضَرَرا وَأَكْثر وزراً، وَأَنه إِذا ملكهَا كَانَ قهر أقوى أعدائه أمره بهَا".[20]

ويقول النووي: " فَلَمْ يَزِدْهُ فِي الْوَصِيَّةِ عَلَى لَا تَغْضَبْ مَعَ تَكْرَارِهِ الطَّلَبَ وَهَذَا دَلِيلٌ ظَاهِرٌ فِي عِظَمِ مَفْسَدَةِ الْغَضَبِ وَمَا يَنْشَأُ مِنْهُ "[21]، فالنهي عن الغضب، مرارا جاء ليؤكد التجنب الإلزامي عنه، مع ملاحظة إيجاز النبي ρ في الوصية حيث جمع الوصية كلها في جملة واحدة ليسهل حفظها، مع تضمنها معاني كثيرة، وهذا ما يتناسب مع مقام الوصية.

يَتَسِمُ هذا النهي بأقصى درجات الإيجاز، إذ يختزل الخطاب في صيغة قصيرة، مُكثّفة تُخفي وراء بساطتها عمقًا تداوليًا كبيراً، فالنهي هنا لا يمكن فهمه على ظاهره الحرفي، لأنّ الغضب انفعال طبيعي، ممّا يفرض تأويله بوصفه توجيها لضبط ردود الفعل لا لمنع الشعور ذاته، وعلى هذا الأساس يتحوّل النهي إلى فِعْلٍ تربوي يهدف إلى إعادة تشكيل السلوك الداخلي للفرد عبر التحكّم في الانفعال، كما أن هذا الاختزال اللغوي يمنح الخطاب قوة تأثيرية عالية، تجعل من النهي أداة لإنتاج وعي ذاتي قائم على التروّي وإدارة النفس بدل الاندفاع.

وعن أبي هريرة τ قال: قال رسول الله ρ: « أنظروا إلى من هو أسفل منكم ولا تنظروا إلى من هو فوقكم؛ فهو أجدر أن لا تزدروا نعمة لله عليكم»[22].

الجمع بين الأمر والنهي في هذا الحديث خلق توازنًا تداوليًا قويًا، فتجاوز بذلك دلالة المنع إلى وظيفة تداولية تسهم في توجيه المتلقي وبناء المعنى في ضوء السياق، فدلالة النهي هنا هي دلالة نفسية تربوية، بحيث يُنْهَى المتلقي عن المقارنات المنهكة للنفس البشرية، فالمقام مقام إرشادي لسلام النفس من الحسد، وفقدان الرضا.

إذا يتخذ النهي في هذا الحديث بعدا نفسيا وتربويا ليتجاوز بذلك حدود التوجيه السلوكي الظاهر إلى إعادة تشكيل آلية الإدراك لدى المتلقي، فهو لا يكتفي بمنع فعل النظر، بل يوجّه زاوية الرؤية ذاتها، مما يجعله نهيا موجّها إلى الوعي قبل السلوك، وتقوم البنية على مقابلة دلالية بين (أسفل) و(فوق) وهو تقابل يُسْهِم في بناء منظور قيمي يعيد ترتيب علاقة الإنسان بِالنِعَم التي منحها له الله تعالى، وكذلك موقعه الاجتماعي، وتنتج صورة ذهنية واضحة، المقصد منها صناعة نفس راضية غير مشدودة إلى مظاهر التفوق الدنيوي.

ومن الناحية التداولية، يتحوّل النهي هنا إلى أداة لتخفيف التوتر النفسي الناتج عن المقارنة الاجتماعية عبر توجيه الانتباه إلى من هم أقل حالا، بما يُرسّخ الرضا ويحدّ من الشعور بالنقص، فيتحوّل الخطاب منع بسيط إلى استراتيجية لإعادة برمجة الوعي.

تتجلى قدرة النهي على التأثير النفسي والروحي في الحديثين السابق تحليلهما، إذ يعمل على تهذيب النفس، وضبط الانفعال، وتعزيز القناعة، وتحقيق الاتزان بين حرية الاختيار، وبين الالتزام بالقيم، فالخطاب النبوي في هذه الأحاديث يوازن بين الحزم واللين، ويُظهر أنّ النهي ليس مجرّد زجر، بل إعادة توجيه للوعي والسلوك بما يتناسب مع حكمة المقصد وروح الشريعة، فلا يمكن حمله على ظاهره، بل يعتمد على التأويل التداولي.

5- **النهي المرتبط بالدنيا والانشغال بها:** يتجاوز النهي هنا توجيه الفعل إلى إعادة بناء طريقة إدراك الإنسان للواقع، من خلال توجيه نظره وتقييمه للأشياء، فهو يُسْهِم في تعديل منظومة القيم الداخلية للمتلقي، بما يُعزّز الرضا ويحدّ من الاضطرابات النفسية الناتجة من المقارنات الاجتماعية، ومن أمثلة ذلك الحديث الذي رواه عبد الله بن مسعود τ قال: قال رسول الله ρ: «لا تَتَـخِذُوا الضَيْعَة فَــتَرْغَبُوا فِي الدُنيا»[23]

يحقّق النهي في هذا الحديث توجيها تربويا، إذ ينهى عن التعلق بالماديات، ويُحَفّز على الاعتدال والرضا بالقليل، فهو توجيه للنفس للبعد عن التعلق بالماديات، والانغماس في الدنيا على حساب الآخرة، فأسلوب النهي بهذا يُحقّق تنظيما اجتماعيا؛ إذ يمنع التفريط في وقت الإنسان، وجهده لصالح الدنيا على حساب المصلحة العامة، أو الالتزامات الدينية.

كما أن أسلوب النهي في هذا المقام يحقّق بعدا عقديا، إذ أنّه يربط القلب بالآخرة، ويُذكّر بأن الانغماس في الدنيا قد يؤدّي إلى التقصير في الطاعة والعبادة، فيظهر لنا هنا البعد القيمي للنهي، إذ يتحوّل من منع خارجي إلى نقد توجه داخلي قد يسحب الإنسان نحو التعلّق المفرط بالماديات، كما يأتي النهي هنا مبنيا على التحذير من انزلاق تدريجي، فالتعلّق بالضيعة ليس مُحرّما في ذاته، لكن الخطر يكمن في أن يُفضي إلى الرغبة في الدنيا والانصراف عن مقاصد الآخرة، وتُبرِزُ بلاغة النهي هذا التحوّل من خلال ربط الفعل بنتيجته النفسية والمعنوية، فيتحوّل الخطاب إلى تنبيه دقيق يحمي القلب قبل العمل.

وفي الحديث الذي رواه أبو هريرة τ قال: قال رسول الله ρ: «لا تَـرْغَـبُوا عن آبائكم، فمن رغب عن أبيه فهو كفر »[24]
دلالة النهي هنا هي نهي عن الانتساب لغير الآب، فالمقام مقام تحريم؛ لأنّه يمسّ الهوية والعدل، كما أن التعبير بـ (ترغبوا عن) يُصوّر فعل الإعراض كشيء قبيح يجب تجنّبه، تحقيقا لمقصد مهم وهو حفظ الأنساب، ومنع الظلم،

وفي النهاية نستطيع أن نقول أنّ النهي في الأحاديث السابقة مرتبط بتصحيح القيم، فهو يحمل تعليل ضمني (لماذا؟ لأن ذلك يغيّر الأولويات).

6- النهي المقترن بالتوجيه الإيجابي (بنية مزدوجة): يقوم هذا النمط من النهي على بنية مزدوجة، تجمع بين المنع والتوجيه الإيجابي، حيث يُقترن النهي غالبا بأمر، أو توجيه مقابل له، ويؤدّي هذا الازدواج وظيفة بلاغية وتداولية في آن واحد، إذ لا يكتفي الخطاب بمنع السلوك السلبي، بل يُقدّم بديلا إيجابيا يحدّد المسار المطلوب، ممّا يُعزّز وضوح التوجيه وفاعليته.

ومن أمثلة ذلك الحديث الذي رواه أنس τ قال: قال رسول الله ρ: «يسّرو ولا تعسّروا، وبشروا ولا تنفروا»[25]

لقد ورد أسلوب النهي في قوله ε: "ولا تعسروا" وكذلك: "ولا تنفروا" مخاطبا بذلك الصحابيين الجليلين معاذ بن جبل وأبا موسى –رضي الله عنهما– وإن كان المراد نهي جميع المسلمين عن التعسير والتنفير في ما هو نوافل العبادات، وفيما خفّف الله عمله من الفرائض في حال العذر كالصلاة قاعداً في حال العجز عن القيام.[26]

وتتميّز صياغة النهي في هذا الحديث بالإيجاز والمباشرة، حيث تأتي (لا) الناهية لتقطع الطريق أمام الالتباس، وتمنح الفعل صفة الاستمرارية، والتحذير الدائم، كما تتضح مهارة الإيقاع اللفظي والتوازي التركيبي، مما يمنح النص قوة تأثير واضحة، ويجعل النهي ذا وقع نفسي وتربوي على المتلقي، ويلاحظ أن النهي غالبا ما يُصاغ بصيغة فعل مضارع مجزوم، ليحمل معنى التوجيه المستمر، ويكشف عن مقاصد الخطاب النبوي في الإصلاح والتوجيه.

يتميّز هذا النهي ببنية مزدوجة تقوم على التضاد بين (التيسير) و(التعسير)، ممّا يمنح الخطاب قوة بلاغية ناتجة عن المقابلة الدلالية المباشرة، ويأتي التركيب في صيغة توجيهية تجمع بين الأمر والنهي، ما يخلق توازنا تداوليا يحدّد الاتجاه السلوكي المطلوب بدقة، فمن الناحية البلاغية، يحقّق هذا الازدواج أثرا إيقاعيا ومعنويا يعزّز تثبيت القاعدة الأخلاقية في الوعي، أما تداوليا، فيتجاوز الخطاب مجرد تنظيم السلوك إلى بناء فلسفة تعامل قائمة على رفع الحرج وتخفيف المشقة مما يجعل النهي جزءًا من منظومة قيمية إيجابية لا تكتفي بالمنع بل تقترح بديلا سلوكيًا واضحًا.

تكشف هذه الشواهد عن تنوع تجليات النهي، في الحديث النبوي، حيث يتراوح بين التشريع والتوجيه الأخلاقي، والإرشاد السلوكي والتربية النفسية، بما يؤكّد أن النهي ليس صيغة جامدة، بل بنية خطابية مرنة تتشكّل وفق السياق والمقام، وتؤدّي وظائف تداولية متعدّدة تُسهِم في بناء المعنى وتوجيه المتلقي، بناء على ما سبق، لا يُنظر إلى النهي في الحديث النبوي بوصفه بنية بلاغية ذات وظيفة تداولية، تُسهم في بناء المعنى وتوجيه المتلقي عبر آليات تأثيرية تتشكّل من تفاعل الصيغة مع السياق والمقصد.

- المحور الثالث: التراكم الدلالي في بنية النهي:

لا يقتصر النهي في الخطاب النبوي على وروده في صورة مفردة مستقلة، بل قد يتخذ بنية مركبة قوم على تتابع عدة صيغ نهي داخل سياق واحد، وهو ما يمكن وصفه بالتراكم الدلالي، ويُقصد به توالي صيغ النهي في الحديث

الواحد، بحيث لا تُفْهَم كل صيغة على حدة، بل في إطار شبكة دلالية متكاملة، تتفاعل عناصرها لتنتج معنى أوسع وأعمق من مجموع أجزائها.

ومن الناحية البلاغية، يُسهم هذا التراكم في خلق إيقاع لغوي قائم على التكرار والتوازي، مما يعزّز ترسيخ المعنى في ذهن المتلقي، أما تداوليا، فإنّه يؤدّي وظيفة تنظيمية وتأثيرية، إذ ينتقل الخطاب من معالجة سلوك جزئي إلى بناء منظومة متكاملة من التوجيهات، قد تقوم على التدرج (من السبب إلى النتيجة)، أو الشمول (تغطية مجالات متعدّدة) أو التعزيز (تكرار المعنى بصيغ مختلفة).

وبذلك، يتحوّل النهي في هذه البنية من مجرّد صيغة طلبية، إلى استراتيجية خطابية مركبة، تهدف إلى تكثيف التأثير وتوسيع أفق الدلالة بما يُسهم في توجيه المتلقي، وبناء وعيه في ضوء سياق الخطاب ومقاصده، وهو ما يجعل دراسة النهي في هذا المستوى مدخلا لفهم دينامية الخطاب النبوي في توظيف التكرار، والتعدّد لتحقيق أقصى درجات التأثير، ومن شواهد تكرار النهي في الحديث الواحد:

الحديث الذي رواه أبو هريرة τ قال: قال الرسول ρ: «إياكم والظن، فإنّ الظن أكذب الحديث، ولا تحسّسوا ولا تجسّسوا ولا تنافسوا، ولا تحاسدوا ولا تباغضوا ولا تدابروا، وكونوا عباد الله إخوانا كما أمركم، المسلم أخو المسلم، لا يظلمه، ولا يخذله، ولا يَحْقِرُه، التقوى هاهنا، التقوى هاهنا»[27]

يبدأ الحديث بصيغة تحذيرية (إياكم) ثم يتوالى النهي في سلسلة مترابطة من الأفعال المنفية، مما ينتج تصعيدا دلاليا من الباطن (الظن)، إلى الظاهر (التجسّس، التباغض)، ويلاحظ أن هذا التدرّج يُشكّل بناءً حجاجيا يربط بين أصل السلوك ونتائجه.

لقد ورد أسلوب النهي في هذا الحديث عدة مرات، وكلّها على وجه الحقيقة لتعلقها بأشياء محرمة في الإسلام، فقوله: (وَلاَ تَجَسَّسُوا) هو: نهي عن التجسس، أي: لا تسألوا عَن السِّرّ، وأما قوله: (لاَ تَحَسَّسُوا): نهي عن التحسس، وهو: البحث عن عيوب الناس واتباعها، وأما قوله (ولا تناجشوا) فهو: نهي عن النجش: وهو أن يزيد في السّلعة، وهو لا يريد شراءها ليقع غيره فيها[28]، وأما قوله ولا تدابروا: أي لا تتهاجروا، فيهجر أحدكم أخاه، مأخوذ من تولية الرجلِ الآخرِ دُبُرَهُ، إذا أعرض عنه حين يراهُ[29]، ويرى النووي في المراد بالتحسس، والتجسس ليس فيها تضاد؛ فيحسن الجمع بينها.[30]

فالنهي هنا يعمل على تفكيك السلوك الاجتماعي من جذوره، إذ يبدأ بضبط الإدراك (الظن) ثم ينتقل إلى الممارسات، وهذا التدرّج يكشف عن وعي تداولي عميق، حيث لا يُعَالِجُ الفعل في ذاته، بل أسبابه النفسية والاجتماعية.

أما في الحديث الذي نصح فيه الرسول ρ الأعرابي أبي جري جابر بن سليمτ فقال له: «ولا تُحقّرن من المعروف شيئا، وأن تكلّم أخاك وأنت منبسط إليه وجْهُك، إنّ ذلك من المعروف شيئا، وارفع إزارك إلى نصف الساق، فإن أبيت فإلى الكعبين، وإياك وإسبال الإزار فإنّها من المخيلة وإنّ الله لا يحبّ المخيلة؛ وإنّ امرؤ شتمك وعيّرك بما يعلم فيك فلا تعيّره بما تعلم فيه فإنّما وبال ذلك عليه»[31].

يَرِدُ النهي ضمن بنية مُمْتدّة تتخللها توجيهات متعدّدة، مما يجعله جزءًا من خطاب إرشادي شامل، ويُلاحظ أنّ النهي لا (تُحقرنّ) جاء بصيغة النون الثقيلة، مما يضفي عليه قوة تأكيدية، كما أنّ كلمة شيئا تفيد التعميم، فتوسّع الدلالة.

لا يقتصر النهي هنا على منع سلوك، بل يعمل على إعادة تقييم الأفعال في وعي المتلقي، حيث يُوَجَّه إلى تقدير المعروف مهما صَغُر، كما أن إدماجه ضمن سلسلة توجيهات يجعل النهي جزءًا من بناء سلوكي متكامل.

إذا ومما سبق نلاحظ أنّ أسلوب النهي في هذا الحديث قد وضح لنا توجيها تربويا، إذ أنّه ρ يُعَلّم المتلقين خصوصية الآخرين، ويحمي النفوس من القلق والريبة، كما يتبين لنا أن أسلوب النهي النبوي في هذا الحديث ينجز تنظيما اجتماعيا، إذ أنه ρ بهذا النهي يحمي المجتمع من الانقسام، والنميمة، ويقوي الثقة بين الأفراد، وهو بهذا يكشف لنا بعدا عقديا؛ يرتبط بالأمانة والعدل، والحفاظ على الأخوة الإيمانية التي هي أقوى من أخوة النسب في قوله ρ: (وكونوا عباد الله إخوانا)، فالنهي المباشر الملزم للكف في هذا الحديث أتى ليحفظ لكل مسلم عرضه، وماله، وحقه في المعاملات، وإنما كان القصد من مجيئها بأساليب النهي الحقيقية: بيان حرمتها، والابتعاد الملزم لكل مسلم عنها، والله أعلم.

وفي قوله الرسول ρ مخاطبا اليهوديان اللذان أتياه فسألاه عن تسع آيات بينات، فقال لهم: **«لا تشركوا بالله شيئا، ولا تسرقوا، ولا تزنوا، ولا تقتلوا النفس التي حرّم الله إلا بالحق، ولا تمشوا ببريء إلى ذي سلطانٍ ليقتله، ولا تسحروا، ولا تأكلوا الربا، ولا تقذفوا مُحصّنةً، ولا تولُّوا الفرار يوم الزحف، وعليكم خاصة اليهود أن لا تعتدوا في السّبْتِ»**[32].

يقوم هذ الحديث على التراكم العطفي (التعدادي) حيث تتوالى صيغ النهي في نسق متتابع (لا ... ولا... ولا...)، مما يخلق إيقاعا بلاغيا قائما على التكرار، ويؤدّي هذا التتابع إلى توسيع المجال الدلالي للنهي ليشمل مجالات متعدّدة (عقدية، أخلاقية، اجتماعية) فيتحوّل الخطاب إلى بنية جامعة.

وهذا التراكم لا يُفْهَم على أنّه مجرّد تعداد، بل هو استراتيجية تأطير شامل للسلوك، حيث ينتقل الخطاب من جزئي إلى كلّي، ويؤسّس منظومة متكاملة من القيم، كما أنّ توالي النواهي يعزّز القوة الإنجازية، فَيُحْدِث أثرا تراكميا في المتلقي يجعله يُدْرِك خطورة الانحراف في مختلف مستوياته.

تكشف هذه النماذج أن تعدّد صيغ النهي داخل الحديث النبوي الواحد لا يؤدّي إلى التكرار بل إلى تراكم دلالي يُسهم في توسيع المعنى وتعميق الأثر التداولي، فالنهي لا يعمل في هذه البنى بوصفه وحدات مستقلة، بل بوصفه شبكة متكاملة من التوجيهات التي تتفاعل فيما بينها لتشكّل خطابا ذا قوة إنجازية عالية، يوجّه السلوك ويعيد بناء الوعي في آن واحد.

المحور الرابع: الدلالات المركزية ومستويات التوجيه في النهي النبوي:

1- **الدلالات المركزية لصيغ النهي:** لا تقتصر دلالة النهي في الحديث النبوي على معناها الأصلي المتمثل في طلب الكف والمنع، بل تتعدّد بتعدّد السياقات والمقامات التي يرد فيها، ممّا يجعلها بنية دلالية مرنة تتشكّل وفق طبيعة الخطاب ومقاصده، ويمكن ردّ هذه الدلالات إلى ثلاثة مستويات مركزية: تتمثل في:

- **الدلالة الأصلية:** والتي تفيد المنع أو التحريم، وهي الدلالة المباشرة التي تُستَفاد من البنية اللغوية لصيغة النهي، وتظهر هذه الدلالة بوضوح في السياقات التي يُقصَدُ بها ضبط السلوك ومنع وقوعه منع صريحا، حيث يكتسب النهي قوة إنجازية تجعله قريبا من التحريم، غير أن هذه الدلالة، على أهميتها لا تستنفذ طاقة النهي، بل تمثل منطلقا تتفرّع عنه دلالات أوسع تتحدّد في ضوء السياق والمقام.

- **الدلالة الأخلاقية والاجتماعية:** والتي تجعل النهي أداة لتقويم السلوك وبناء العلاقات الإنسانية على أسس من التماسك والتعاون، ونبذ السلوكيات السلبية، إذ يتجاوز النهي في هذا المستوى دلالته الأصلية ليؤدي وظيفة تقويمية تستهدف تنظيم العلاقات الإنسانية وبناء منظومة قيمية متوازنة، فلا يقتصر الخطاب على منع سلوك معيّن، بل يسعى إلى تهذيب الانفعالات وضبطها بما يحقّق التماسك الاجتماعي، ويحد من أسباب التنافر والتفكّك، ومن ثمّ يتحوّل النهي إلى أداة لتشكيل الوعي الجماعي، من خلال ترسيخ قيم التعاون والتسامح، ونبذ السلوكيات السلبية.

- **الدلالة السلوكية والنفسية:** يتخذ النهي في هذا المستوى بعدا أعمق، إذ يتجّه إلى توجيه السلوك من خلال التأثير في البنية النفسية للمتلقي، فلا يُفهم النهي هنا بوصفه منعا مباشرا، بل باعتباره توجيها يهدف إلى ضبط الانفعالات وإعادة تشكيل الوعي الذاتي، بما ينعكس على السلوك الخارجي، ويكشف هذ النمط عن وعي تداولي دقيق حيث يعالج الخطاب جذور الفعل في النفس قبل ظهوره في الواقع، فهذه الدلالة تتجاوز الظاهر إلى التأثير في البعد الداخلي للإنسان من خلال ضبط الانفعالات وإعادة تشكيل الوعي.

وبذلك يغدو النهي في الحديث النبوي أداة دلالية مركبة، تجمع بين المنع والتوجيه، والتأثير، وفق ما يقتضيه السياق التداولي، ومقاصد الخطاب، وهو ما يبرّر الانتقال من دراسة دلالة النهي بوصفها بنية لغوية إلى مقاربتها بوصفها وظيفة تداولية متعدّدة الأبعاد.

2- مستويات التوجيه في النهي النبوي:

يندرج النهي في الخطاب النبوي عبر مستويات متعدّدة من التوجيه، تبدأ بالمستوى التشريعي الذي يقوم على الإلزام، والمنع، وضبط السلوك العام ويمتد إلى المستوى الأخلاقي الاجتماعي الذي يستهدف تقويم السلوك الاجتماعي، وتهذيب العلاقات بين الأفراد وتقويمها، ثم يتعمّق في المستوى النفسي التربوي الذي يعالج البعد الداخلي للإنسان ويُعنىَ بضبط الانفعالات، وإعادة تشكيل الوعي، وإعادة بناء السلوك من جذوره، ويكشف هذا التدرّج عن مرونة الخطاب النبوي وديناميته، وقدرته على الانتقال من ضبط الفعل الظاهر إلى تشكيل البنية الداخلية للمتلقي، مما يُعزّز فاعليته التأثيرية والتوجيهية.

ويكشف تداخل الدلالات المركزية مع مستويات التوجيه عن أن النهي في الحديث النبوي ليس بنية لغوية أحادية الوظيفة، بل هو خطاب مركّب تتداخل فيه الأبعاد البلاغية والتداولية، بحيث يتجاوز مجرّد المنع إلى بناء المعنى، وتوجيه السلوك، وفق مقاصد تربوية وأخلاقية دقيقة، تتحدّد في ضوء السياق والمقام.

- خاتـمة:

يتبين من خلال تحليل نماذج النهي في الحديث النبوي أن هذا الأسلوب يتجاوز وظيفته اللغوية المباشرة، بوصفه صيغة للمنع، ليؤدّي وظائف تداولية مركبة تتصل ببناء المعنى وتوجيه السلوك في ضوء السياق والمقام، وقد أظهر التحليل تنوعا في وظائف النهي بين التوجيه الأخلاقي، والتربية السلوكية، والتأثير النفسي، بما يعكس مرونة هذا الأسلوب، وقدرته على التكيف مع اختلاف المقامات الخطابية.

كما كشفت الدراسة عن حضور آليات بلاغية متعدّدة أسهمت في تعزيز الفاعلية الخطابية للنهي، من خلال الإيجاز، والتقابل والتكرار، ممّا منح الخطاب النبوي قوة تأثيرية واضحة، وعليه فإنّ النهي في الحديث النبوي يمثل بنية خطابية مركّبة تتداخل فيه البلاغة مع التداولية، في إطار يخدم المقاصد التربوية والتوجيهية للخطاب النبوي.

- التوصيات:

يقترح هذا البحث إمكان توسيع المقاربة التداولية في دراسة الأساليب الإنشائية في الحديث النبوي، بما يسمح بإعادة قراءة البنية البلاغية في ضوء نظريات الخطاب الحديثة.

- تعميق دراسة النهي النبوي في ضوء المقاربات البلاغية والدلالية، لفهم أثره التوجيهي الشامل على الفرد والمجتمع.

- إبراز البعد التربوي والنفسي في أسلوب النهي، وتوظيفه في المناهج التعليمية، والتوجيه الأخلاقي، بما يعزّز القيم السلوكية الإيجابية.

- ربط النهي بالقيم العقدية عند شرح الحديث، لتأكيد أن النهي لا يقتصر على ضبط السلوك فحسب، بل يحمي صميم العقيدة.

- تطبيق أسلوب النهي النبوي في الأطر الاجتماعية الحديثة، مع مراعاة الحكمة والتدرّج واللين، لضمان تحقيق أثر تربوي واجتماعي متكامل.

- إجراء بحوث مقارنة بين النهي في الحديث النبوي وأساليب التوجيه الأخرى، مثل أسلوب التخيير، والأمر، لاستكشاف كيف تتكامل هذه الأساليب في بناء الخطاب النبوي الفاعل.

– الهوامش:

[1] – الفراهيدي الخليل بن أحمد، كتاب العين، تح: إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، بيروت، د ت، ج4، ص 93.

[2] – الكفوي، أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني، الكليات، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر، ط2، 1998م، ص 903.

[3] - السكاكي، الخوارزمي الحنفي أبو يعقوب، مفتاح العلوم، تعليق: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط 2 ،1987م، ص320.

[4] – السكاكي، مفتاح العلوم، ص.320

[5] – الجرجاني، علي بن محمد بن علي الشريف، التعريفات، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1983م، ص 248.

[6] – هارون عبد السلام، الأساليب الإنشائية في النحو العربي دار الجميل، بيروت، ط 3، د ت، ص 15.

[7] – السكاكي، يوسف بن أبي بكر، مفتاح العلوم، تح: عبد الحميد الهنداوي، دار الكتب العلمية، لبنان، ط1، 2002م، ص 320.

[8] – الشوكاني، محمد بن علي بن محمد عبد الله، إرشاد الفحول لتحقيق الحق من علم الأصول، تح: سامي بن العربي الأثري، دار الفضيلة، الرياض، ط1، 2001م، ص 199.

[9] – صحيح البخاري، حديث رقم 2465، باب أفنية الدور والجلوس فيها، والجلوس على الصعدات.

[10] – الزركشي بدر الدين محمد بن عبد الله، البرهان في علوم القرآن، تح: يوسف عبد الرحمن المرعشلي وآخرون، دار المعرفة، بيروت، ط1، 1990م، ج10، ص 2.

[11] - مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب دراسة تداولية لظاهرة "الأفعال الكلامية" في التراث اللساني العربي، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط2005، ص05 .

[12] – محمد سالم الأمين الطلبة، الحجاج في البلاغة المعاصرة، دار الكتاب الجديدة المتحدة، ليبيا، ط 1، 2008م، ص183.

[13]– رياض الصالحين، رواه البخاري، كتاب المقدمات، باب: تحريم الظلم والأمر برد المظالم، حديث رقم: 205.

[14] - رياض الصالحين، متفق عليه، كتب الأمور المنهي عنها، باب: النهي عن الحلف بمخلوق كالنبي والملائكة والسماء والآباء، حديث رقم: 1707.

[15] – النووي، رياض الصالحين، رواه: الترمذي، كتاب: الأمور المنهي عنها، باب: النهي عن سبّ الريح الحديث رقم: 1727.

[16] – رياض الصالحين، متفق عليه، كتاب: المقدّمات باب: في بيان كثرة طرق الخير، حديث رقم: 124.

[17] – رياض الصالحين، متفق عليه، كتاب: الأمور المنهي عنها، باب: النهي عن ترك النار في البيت عند النوم، حديث رقم 1652.

[18] – رياض الصالحين، متفق عليه، كتاب: الأمور المنهي عنها، باب: النهي عن تناجي اثنين دون الثالث بغير إذنه، حديث رقم 1598.

[19] – رياض الصالحين، رواه البخاري، كتاب: المقدمات، باب: الحلم والأناة والرفق، حديث رقم 639.

[20] – ينظر: الحافظ ابن حجر العسقلاني، فتح الباري، اعتنى به أبو قتيبة الفارابي، دار طيبة، الرياض، ط1، 2005م، ج 10، ص520.

[21] – ينظر: النووي، شرح صحيح مسلم، إشراف: حسان عباس قطب، دار عالم الكتب، الرياض، ط 1، 2003م، ج 16، ص163.

[22] – رياض الصالحين، متفق عليه، كتاب: المقدمات، باب: فضل الزهد في الدنيا، حديث رقم 467.

[23] – رياض الصالحين، رواه الترمذي، كتاب: المقدمات، باب: فضل الزهد في الدنيا والحث على التقلل منها، حديث رقم 479.

[24] – رياض الصالحين، متفق عليه، كتاب: الأمور المنهي عنها، باب: تحريم انتساب الانسان إلى غير أبيه، حديث رقم 1803.

[25] – رياض الصالحين، متفق عليه، كتاب: المقدمات، باب: الحلم والأناة والرفق، حديث رقم 637.

[26] – ينظر: ابن بطال، شرح صحيح البخاري، علق عليه: أبو تميم ياسر إبراهيم، مكتبة الرشد، الرياض، ط2، 2000م، ج9، ص 302.

[27] – رياض الصالحين، رواه مسلم، كتاب الأمور المنهي عنها، باب النهي عن التجسّس والتسمّع، حديث رقم 1570.

[28] – ينظر: فتح الباري، ج 4، ص355.

[29] – ينظر: فتح الباري، ج 10، ص482.

[30] – ينظر: فتح الباري، ج 10، ص 482.

[31] – رياض الصالحين، رواه أبو داوود والترمذي، كتاب اللباس، باب صفة طول القميص، حديث رقم 790.

[32] – رياض الصالحين، رواه الترمذي، كتاب السلام، باب استحباب المصافحة عند اللقاء، حديث رقم 889.

– المصادر والمراجع:

1- ابن بطال، شرح صحيح البخاري، علق عليه: أبو تميم ياسر إبراهيم، مكتبة الرشد، الرياض، ط2، 2000م.
2- الجرجاني، علي بن محمد بن علي الشريف، التعريفات، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1983م.
3- الحافظ ابن حجر العسقلاني، فتح الباري، اعتنى به أبو قتيبة الفارابي، دار طيبة، الرياض، ط1، 2005م.
4- الزركشي بدر الدين محمد بن عبد الله، البرهان في علوم القرآن، تح: يوسف عبد الرحمن المرعشلي وآخرون، دار المعرفة، بيروت، ط1، 1990م.

5- السكاكي، الخوارزمي الحنفي أبو يعقوب، مفتاح العلوم، تعليق: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط 2 ،1987م.
6- الكفوي، أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني، الكليات، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر، ط2، 1998م.
7- النووي، شرح صحيح مسلم، إشراف: حسان عباس قطب، دار عالم الكتب، الرياض، ط 1، 2003م.
8- محمد سالم الأمين الطلبة، الحجاج في البلاغة المعاصرة، دار الكتاب الجديدة المتحدة، ليبيا، ط 1، 2008م.
9- مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب دراسة تداولية لظاهرة "الأفعال الكلامية" في التراث اللساني العربي، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط2005.
10- هارون عبد السلام، الأساليب الإنشائية في النحو العربي دار الجميل، بيروت، ط 3، د ت.
11- الشوكاني، محمد بن علي بن محمد عبد الله، إرشاد الفحول لتحقيق الحق من علم الأصول، تح: سامي بن العربي الأثري، دار الفضيلة، الرياض، ط1، 2001م.
12- الفراهيدي الخليل بن أحمد، كتاب العين، تح: إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، بيروت، د ت.